الباب الأول

تاريخ العلاقات

العلاقات الفارسية العربية قبل الإسلام

تمكن الملك الفارسي قورش عام ٥٤٢ق.م من احتلال الشام ثم العراق ثم قام ابنه باحتلال مصر وبعض بلاد العالم القديم، إلا الجزيرة العربية يقول المؤرخ اليوناني هيرودوتس في صدد الكلام عن داريوس ما نصه ولقد اعترف بسلطانه جميع أقوام آسيا الذين كان قد ذللهم كورش ثم قمبيز إلا العرب، فهؤلاء لم يخضعوا البتة لسلطان فارس، إنما كانوا أحلافها، ولقد مهدوا لقمبيز سبيل التوصل إلى مصر، ولولاهم لما أمكنه القيام بهذه المهمة واستمر حال العرب في الجزيرة مستقلين بأنفسهم إلى أن قام الملك الفارسي سابور الثاني عام ٣٧٠م بشن حملة إبادة ضد العرب، فتك فيها بالعرب على ساحل إيران وعبر الخليج حتى مدينة القطيف (الخط آنذاك)، وقام بمذابح هائلة فيها وفي هجر الاحساء ثم توغل في جزيرة العرب فقتل من تمكن منه من العرب ومثل بهم بقطع أكتافهم كما قام بتهجير القبائل وفرض عليها الإقامة الجبرية وعمد إلى طمر المياه وردم الآبار، فقتل كل من وجده من العرب، فكان

ينزع أكتافهم ويمثل بهم وبقى لشناعة هذه المثلة أثر سيئ في نفوسهم، لذا لقبوه بذي الأكتاف وما يزال الفرس إلى اليوم يفتخرون بجرائمه.

وقد خضع العرب في العراق (مملكة الحيرة) وعلى سواحل الخليج العربي (المسماة بالبحرين آنذاك) للنفوذ الفارسي حتى مجيء الإسلام وامتد نفوذ الفرس حتى اليمن وعانت هذه المنطقة من أولئك الولاة العتاة، وكابدت ألواناً من الاضطهاد والتنكيل، واشتهر أزاد فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر الفارسي بفظاظته ووحشيته، حتى أنه كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف، وكاد يفني قبيلة بني تميم عن بكرة أبيها في حادثة حصن المشقر بهجر وكان العرب متفرقين يصعب عليهم التجمع لضرب الفرس، إلا في أوقات قليلة مثل معركة ذي قار، التي انتصر فيها العرب على العجم.

وكان الفرس يحتقرون العرب كثيراً ويستكبرون عليهم، حتى بنوا عاصمتهم المدائن على أرض العرب وبدا ذاك واضحاً في خطابات كسرى مع النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبسبب هذه العنصرية الشديدة، رفض الفرس دعوة الإسلام رفضاً باتاً.

<u>الفتح الإسلامي لإيران :</u> ويعتبر الانتصار الذي حققه المسلمون علي الفرس في معركة القادسية عام ٦٢٥م إيذاناً بالفتح الإسلامي لإيران

والذي نتج عنه عدة أمور أهمها :

١- إسلام عدد كبير من الفرس بدوافع مختلفة.

٢-هجرة كثير من القبائل العربية إلي فارس .

٣-هجرة كثير من الفرس إلي حواضر العالم الإسلامي وسكنهم مع العرب .

٤-أحضر العرب كثير من الرقيق الفرس فكان لهم أثراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والثقافية للعرب.

٥-أصبحت فارس ولاية عربية إسلامية تطبق فيها أنظمة الدول العربية ويعود للخليفة أمر تعيين الولاة والقضاة والجباة .

وكان أول حديث للرسول ﷺعن الفرس عند لقائه ببني شيبان بعد السنة الثالثة للبعثة النبوية الشريفة في موسم الحج في مكة المكرمة طالباً منهم نصرته لتبليغ دعوته التي بعثه الله بها إلى الناس كافة، فأجابه المثنى بن حارثة الشيباني قبل إسلامه قائلاً إن أحببت أن نؤويك مما يلي مياه العرب دون ما يلي وإني أرى الأمر الذي تدعونا إليه أنت مما يكرهه الملوك فأجابهم رسول الله ﷺ قائلاً ما أسأتم الرد إذ نصحتم بالصدق وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا مَن أحاط به من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم، وهذه أول إشارة من رسول الله ﷺبحتمية النصر على الفرس.

وكانت الإشارة الثانية عندما لحق سراقة بن مالك برسول الله وأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة مهاجرين ليردهما إلى قريش فحيل بينه وبينهما، عندما قال رسول الله ﷺيا سراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سواري كسرى)، والإشارة الثالثة عند حفر الخندق في غزوة الأحزاب، قال رسول الله ﷺ (عندما ضرب صخرة في الخندق وانصدع وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبّر رسول اللهﷺ تكبير فتح، وكبّر المسلمون، ومن ثم سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأجابهم قائلاً: ضربت ضربتي الأولى، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، هذه بعض بشائر رسول الله ﷺ بالفتح والنصر.

وأسلمت اليمن بعد قصة إخبار النبى ص عاملها بأن الله قتل كسرى ومجئ الأخبار له بذلك كما ورد فى كتب السيرة باستفاضة وبعد اليمن أصبحت البحرين جزءاً من الدولة الإسلامية بإسلام المنذر بن ساوى الذي ولاه الفرس على العرب في البحرين ، جاء في فتوح البلدان وكانت أرض البحرين من مملكة الفرس وكان بها خلق كثير من العرب وكان على العرب فيها من قبل الفرس على عهد رسول الله ﷺالمنذر بن ساوى فلما كانت سنة ثمان وجّه رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي حليف بني

عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى مزربان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم ، فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء بن الحضرمى.

العلاقات الفارسية العربية فى صدر الإسلام

أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى الثاني يدعوه للإسلام فغضب كسرى فلما قدم عبد الله على نبي الله ﷺأخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه الكتاب، فما زاد رسول الله على أن قال مزق الله ملكه أما كسرى فقد كتب إلى باذان نائبه على اليمن بالقبض على النبى ص فقتله ابنه وتولى ملك الفرس مكان أبيه .

فى ظل الأمويين: كانت المعاملة التي لقيها الفرس من بني أمية لا يمكن أن توصف بأنها قائمة علي أساس الدين فكانوا ينظرون للموالي الفرس نظرة متعالية كقول معاوية إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت وكأني انظر منهم وثبة علي العرب والسلطان ، فقد رأيت أن اقتل شطراً ، وادع شطراً ، لإقامة السوق ، وعمارة الطريق .

لهذا ظهرت الحركة الشعوبية بين الفرس ، ونادي الفرس بالمساواة بينهم وبين العنصر العربي فتمردوا وعملوا جاهدين للإطاحة بالدولة

الأموية وبالفعل استطاعوا تحقيق ذلك وقد كان بين العرب والفرس علاقات مصاهرة منذ عهد بني أمية فقد قال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية لتلد له فليتخذها فارسية.

<u>في ظل العباسيين:</u> وكان للفرس الدور الأهم في إنجاح الثورة التي دعي لها العباسيون تحت شعار الرضا من آل البيت وكان يفهم الفرس من هذا الشعار هو آل بيت النبي من نسل علي رضي الله عنه والسيدة فاطمة ومن أشهر القادة الفرس الذين برزوا في الثورة العباسية أبي مسلم الخراساني وأبو سلمه الخلال وميسرة مولي علي بن عبد الله بن عباس ، خالد بن برمك وبعد أن ساهم الفرس في قيام الدولة العباسية كان من الطبيعي أن يكون لهم دوراً في هذه الدولة حيث أضفوا صبغة فارسية علي كثير من مؤسساتها وتنظيماتها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية كما ساعدهم في ذلك نقل الخلافة إلي بغداد القريبة من فارس فنقلوا الكثير من قوانين الملك الفارسي إليها ومنها تقسيم الخاصة والعامة إلي طبقات اجتماعية ، كما ادخلوا نظرية الحق الإلهي والحكم المطلق للحاكم وتقوم هذه النظرية علي أن الحاكم هو ظل الله في أرضه ومن مظاهر النفوذ الفارسي في الدولة العباسية تقلدهم مناصب هامة في الدولة فكان أكثر وزراء العباسيين فرس وكان أول وزير فارسي هو أبو سلمه الخلال ، وتولوا مناصب قيادية في الجيش العباسي مثل طاهر بن الحسين ، أبي مسلم الخراساني ، خالد بن برمك كما تقلدوا مناصب الكتابة في الدولة

ومنهم ابن المقفع، أحمد بن يوسف، سهل بن هارون وغيرهم ممن كانت أصولهم فارسية .

قال الجاحظ دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان عربية أعرابية وبعد الفتح الإسلامي تدفقت الهجرات والقبائل وزاد الاختلاط بين العرب والفرس لعدة عوامل أهمها:

١-انضمام عناصر فارسية إلي الجيش الإسلامي .

٢- أسري الحرب من الفرس وكانوا يوزعون علي الجيش الإسلامي ويسترقون ذكر هذا أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام ولما كثرت الفتوح كثر الاسترقاق من الأمم المفتوحة كثرة هائلة ووزع المسترقون- رجالاً ونساءW وذراري- علي العرب الفاتحين حتى يري المسعودي أن الزبير بن العوام كان له ألف عبد وألف أمه .

٣-هجرة القبائل العربية إلي فارس واستيطانها هناك.

٤-هجرة الفرس المسلمين وغير المسلمين إلي الأمصار العربية ويقال أن عدد الفرس في بغداد كان يوازي عدد العرب.

٥-انتقال عاصمة الخلافة إلي بغداد القريبة من فارس وهذا سهل الهجرة

متى تشيعت إيران ؟

يمثل تاريخ الدولة الصفوية في إيران منعطفاً مهماً في تاريخها، فبقيامها اتخذت إيران المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهباً رسمياً، وكان

لهذا التحول آثاره البعيدة في تاريخ إيران خاصة وتاريخ العالم الإسلامي عامة ويعتز الصفويون بالشيخ صفي الدين الأردبيلي وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل، وكان رجلاً نشيطاً دائم الحركة والسعي؛ استطاع أن يجذب الأتباع حوله في أذربيجان ثم انتقل الأمر إلى ابنه، ثم إلى حفيده صدر الدين خواجة علي سياهبوش.

نجح أبناء الأردبيلي وأحفاده في نشر المذهب، وصارت لهم قوة وقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون فيها، وتحولوا من أصحاب دعوة إلى مؤسسي دولة لها أهدافها السياسية والمذهبية وكانت الأجواء التي تعيشها إيران في أواخر القرن التاسع الهجري من التمزق السياسي وشيوع الفوضى أفضل مناخ استغله الصفويون لجذب المزيد من الأنصار، والتطلع إلى قيام دولة تدين بالمذهب الشيعي حيث سيطرت على إيران قبيلتان من قبائل التركمان هما قرا قويونلو أي أصحاب الخراف السوداء، وآق قويونلو أي أصحاب الخراف البيضاء وكان القتال مستمر بين تلك القبائل، مما زاد تمزق إيران بعد تعرضها لتدمير المغول ثم لتدمير تيمورلنك.

ولد إسماعيل الصفوي في (٢٥ رجب ٨٩٢ هـ/٢٥ يوليو ١٤٨٧م)، وعاش بعد وفاة أبيه في كنف كاركيا ميرزا حاكم لاهيجان الذي كان محباً له وظل إسماعيل الصفوي ٥ سنوات تحت سمع هذا الحاكم وبصره،

حتى شبّ قوياً محباً للفروسية والقتال، قادراً على القيادة والإدارة وفي أثناء هذه الفترة كانت الدولة تعيش فترة صراعات بين أفراد أسرة آق قويونلو التي كانت تحكم فارس آنذاك، وهو ما استغله أنصار الصفويين، وأمّروا عليهم إسماعيل الصفوي، وكان صغيراً لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، لكنه كان مهيأ للقيادة والزعامة بفضل الرعاية التي أحاطه بها حاكم لاهيجان.

تمكن إسماعيل الصفوي وأنصاره من خوض عدة معارك ضد حكام بعض المناطق في إيران والتغلب عليهم، وتساقطت في يده كثير من مدن إيران، وتوج جهوده بالاستيلاء على مدينة تبريز عاصمة آق قويونلو، ودخلها دخول الفاتحين، ثم أعلنها عاصمة لدولته وبدخول إسماعيل مدينة تبريز تم تتويجه ملكاً على إيران، ولقبه أعوانه بأبي المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي، سنة ٩٠٧ هـ - ١٥٠٢م وأصدروا عملة باسمه وكانت إيران تدين بمذهب أهل السنة والجماعة، ولم يكن فيها سوى أربع مدن شيعية هي: آوه، قاشان، سبزوان، قم وعقب تتويج إسماعيل الصفوي ملكاً على إيران أعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة وتوجهت أنظار إسماعيل إلى منطقة جبل عامل في لبنان التي كانت آنذاك أحد معاقل الشيعة، وفيها الكثير من علمائهم يقول الباحث حسن غريب رأى مؤسس الدولة الصفوية الشاه إسماعيل أنه من العسير

عليه أن يوفر للناس حقيقة المعتقد وترسيخ مبادئه في نفوسهم، ووجد أيضاً أن الكتب غير متوفرة، فعمد إلى ملء الفراغ من خلال استحضار علماء الشيعة من جبل عامل وقد غادر هؤلاء العلماء إلى إيران بدعوة وبغير دعوة وفي عهد الملك الصفوي طمهاسب، أصبحت استمالة علماء جبل عامل للتوجه إلى إيران من السياسات الأساسية للحكومة هناك، وهكذا استمرت هجرة العلماء العامليين منذ ذلك الحين، وحتى سقوط الحكم الصفوي لم يستطع علماء الشيعة في جبل عامل مقاومة الإغراءات الصفوية للقدوم إلى إيران، فنصرة المذهب ودعمه وترسيخ دعائمه في إيران احتل لديهم مكانة كبيرة، لكن أسباباً أخرى دفعتهم للهجرة إلى إيران إذ كان المهاجرون عموماً يجدون في إيران ظروفاً مواتية، ومن تجاوب مع الحكومة الصفوية وتضامن معها، كان يحصل على عطايا وهدايا، على شكل أملاك وأموال نقدية وعينية ومن الأسباب التي شجعت علماء جبل عامل فى لبنان على التوجه إلى إيران المكانة الكبيرة التي حصلوا عليها وقد وصل احترام الملوك من الصفويين للعلماء والفقهاء العامليين خصوصاً حد أنهم فوضوا إليهم كافة مهام القضاء في البلاد، ومنحوهم السلطات والصلاحيات اللازمة، فأصبحوا المصدرين والمنفذين للأحكام والحدود الشرعية وعقوبات القصاص في كل مدن إيران ويقدر مؤلف كتاب هجرة علماء الشيعة عدد علماء جبل

عامل الذين هاجروا إلى إيران في العهد الصفوي بـ ٩٧ عالماً، لم يعد منهم إلى جبل عامل سوى سبعة فقط.

وبعد أن فرغ إسماعيل الصفوي من تعديل دولته بدأ يوجه همه إلى تدعيم الوحدة السياسية لدولته، ويعد العدة ليضع يده على كل بلاد فارس، وكان لا بد من الاصطدام بقبائل الأوزبك التي كانت تموج في المناطق الشمالية الشرقية من فارس وكانت الأوزبك تعتنق المذهب السني، تحت زعامة محمد شيباني الذي نجح في أن يقيم ملكاً على حساب الدولة التيمورية، وأن يستولى على عاصمتها سمرقند ويمد سيطرته على هراة مطلع سنة (٩١٣هـ - ١٥٠٧م).

وهكذا أصبح الأوزبك وجهاً لوجه أمام إسماعيل الصفوي، وزاد من الصراع التراشق المذهبي بينهما، وأرسل محمد شيباني إلى إسماعيل الصفوي يدعوه إلى ترك التشيع والعودة إلى مذهب السنة والجماعة، ويهدده بحرب ضروس في قلب إيران ذاتها، وبهذا أصبح لا مفر من الحرب بينهما وكان شيباني يتصف بالجرأة والإقدام، لكنه لم يكن على مستوى عدوه إسماعيل الصفوي في المراوغة والخداع في الحروب، فاستغل إسماعيل ذلك، وجرّ خصمه إلى معركة كان قد استعد لها تماماً، وتمكن من إلحاق هزيمة مدوية به في محمود آباد -وهي قرية تبعد قليلاً عن مرو سنة (٩١٦هـ ١٥١٠م) قتل شيباني نفسه في المعركة، وبعد

مقتله أعمل إسماعيل الصفوي القتل في أهل مرو، وأعلن فيها المذهب الشيعي مذهباً رسمياً، على الرغم من أن أهالي هذه المناطق كانوا سنة.